بعثة نيقولاي مورافيوف وأثرها في دعم العلاقات الروسية العثمانية في أثناء حرب الشام الأولى (١٨٣١-١٨٣٣)

د. أميرة السعيد الطنطاوي محمد
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية– جامعة الإسكندرية

مقدمـــة :

مثلت بعثة نيقولاي مورافيوف Nikolay Muravyov (١٧٩٤–١٨٦٦) علامة فارقة في تاريخ العلاقات الروسية العثمانية؛ إذ عانت الدولة العثمانية في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر من طموحات محمد علي باشا (١٨٠٥–١٨٤٨) غير المحدودة، ومن رغبته في ضم الشام؛ فصوب محمد علي ضرباته تجاه الدولة العثمانية في وقت عانت فيه من الضعف بشكل جعلها عاجزة عن التصدي له، وامتدت توسعات ابنه إبراهيم باشا (١٧٨٩–١٨٤٨) في الشام حتى كاد يقترب من الأستانة، وفي هذا الوقت وقفت الدول الأوروبية – لأسباب متعددة– تشاهد الموقف دون أي تدخل، لكن روسيا بادرت بعرض المساعدة على السلطان محمود الثاني (١٨٠٨–١٨٣٩)؛ لردع محمد علي، والحفاظ على الأستانة من الوقوع في يده، وكان ذلك بسبب تغير سياسة روسيا التقليدية تجاه الدولة العثمانية في أعقاب الحرب التي دارت بينهما عام ١٨٢٨م، فقد شكل القيصر نيقولا الأول Nicholas I (١٨٢٥–١٨٥٥) لجنة من السياسيين الروس لتبحث في النتائج التي قد تترتب على انهيار الدولة العثمانية، واتفقت آراء أعضائها أنه من مصلحة روسيا الاحتفاظ بالدولة العثمانية كجارة ضعيفة، بدلاً من انهيارها وإحلال جيران أقوياء يهددون المصالح الروسية، هذا إلى جانب قلق القيصر نيقولا الأول من سيطرة محمد علي على الأستانة، وإقامة دولة قوية تقف كحجر عثرة أمام المحاولات الروسية في الوصول إلى المياه الدفيئة في البحر المتوسط، ولهذا أرسل بعثة مورافيوف إلى الأستانة ثم إلى الإسكندرية لعرض المساعدة على السلطان العثماني، ولوضع حد لتوسعات محمد علي.

تتناول هذه الورقة البحثية "بعثة نيقولاي مورافيوف وأثرها في دعم العلاقات الروسية العثمانية في أثناء حرب الشام الأولى (١٨٣١-١٨٣٣)"، من خلال أربعة محاور رئيسة، يشمل المحور الأول التعريف بشخصية نيقولاي مورافيوف والأسباب التي دفعت القيصر لاختياره لتنفيذ تلك المهمة، وخصص المحور الثاني لبيان الظروف التي دفعت القيصر لإرسال بعثة مورافيوف. وعنى المحور الثالث لبيان أهم أعمال البعثة في الأستانة ثم في الإسكندرية، وأخيراً يشمل المحور الرابع أهم النتائج التي ترتبت على بعثة مورافيوف، ولا سيما فيما يتعلق بدعم العلاقات الروسية العثمانية.

يعتمد البحث في المقام الأول على المصادر الأصلية والوثائق غير المنشورة العربية والإنجليزية والروسية، فقد اشتملت دار الوثائق القومية بالقاهرة على عدد من الوحدات الأرشيفية التي قدمت مادة ثرية فيما يتعلق بموضوع البحث، هذا إلى جانب وثائق وزارة الخارجية الإنجليزية Foreign Office، بالإضافة إلى المصادر الروسية التي تمثلت في كتابات نيقولاي مورافيوف نفسه عن بعثته إلى الأستانة ثم الإسكندرية، من خلال مصدرين: الأول بعنوان: "تركيا ومصر خلال عامي ١٨٣٢-١٨٣٣" Турция и Египет в 1832 и 1833 годах ، والذي جاء في أربعة أجزاء، ونُشِرَ في موسكو عام ١٨٦٩م، والثاني بعنوان: "روسيا على مضيق البسفور في عام ١٨٣٣" Русские на Босфоре, в 1833 году ، والذي نشر أيضًا في موسكو في العام نفسه، وقد ساعدت المعلومات التي تركها مورافيوف في هذين المصدرين على بيان بعض القضايا التي اختلف فيها المؤرخون حول طبيعة مهمته وما ترتب عليها من نتائج.

أولاً: التعريف بشخصية نيقولاي مورافيوف وسبب اختيار القيصر نيقولا الأول له:

هو نيقولاي نيقولافيتش مورافيوف Nikolay Nikolayevich Muravyov، الذي عرف بـ "مورافيوف قارص"[١] Muravyov Karsky (of Kars), Muravyov Muravyov). ولد في الرابع عشر من يوليو ١٧٩٤م في سان بطرسبرج Saint Petersburg، حرص والده نيقولاي مورافيوف (١٧٦٨-١٨٤٠) – وقد حمل الابن اسم والده نفسه، وكان يعمل ضابطًا بالجيش الروسي – على تعليمه وتثقيفه، فأظهر مورافيوف نبوغًا واضحا في تعلم الرياضيات والعلوم، كما ألم بعدد من اللغات كالفرنسية، والإنجليزية والألمانية[٢]، والتحق مورافيوف بالخدمة العسكرية في التاسع من فبراير ١٨١١م، وقد اختاره الدوق كونستانتين بافلوفيتش Konstantin Pavlovich (١٧٧٩-١٨٣١) للمشاركة في الحروب التي خاضها الجيش الروسي ضد قوات الغزو الفرنسي، فشارك في موقعة بورودينو Borodino في السابع من سبتمبر ١٨١٢م، وكانت هذه الموقعة من الأهمية بمكان في تاريخ مورافيوف العسكري؛ إذ إنها إحدى المعارك الكبرى التي دارت بين الروس والفرنسيين، وقد وصفت بأنها أكثر المعارك الدموية التي خاضها نابليون بونابرت Napoléon Bonaparte (١٧٦٩-١٨٢١)، فقد عانى فيها الروس معاناة شديدة في أثناء القتال، وفقدوا ما يقرب من ثلث جيشهم[٣]، لكن مورافيوف أبلى في هذه الموقعة بلاء حسنًا، فحصل على وسام القديسة آنا ST. Anna من الدرجة الثالثة في عام ١٨١٢م، ثم شارك في موقعة تورتينو Tarutino في السادس من أكتوبر ١٨١٢م، ثم في موقعة فيازما Vyazma في الثاني والعشرين من أكتوبر من العام نفسه، وفي الموقعتين قاتل مورافيوف بحزم وشدة، وأنزلت القوات الروسية الهزيمة بالقوات الفرنسية، لكن مورافيوف أصيب بعدهما بحالة مرضية أجبرته على ترك الجيش لفترة وجيزة، ثم عاد في إبريل ١٨١٣م ليشارك في عدد من المعارك ضد القوات الفرنسية مثل معركة لوتذن Lutzen في الثاني من مايو ١٨١٣م، وبوتسن Bautzen في العشرين من مايو ١٨١٣م، ثم درسدن Dresden وكولم Kulma في التاسع والعشرين والثلاثين من أغسطس ١٨١٣م، ونظراً للدور الفعال الذي أداه مورافيوف

في هذه المعارك فقد حصل على وسام القديس فلاديمير St. Vladimir من الدرجة الرابعة في ٢٦ سبتمبر ١٨١٣م ورقِّي إلى رتبة ملازم أول(٤).

شارك مورافيوف في موقعة باريس Battle of Paris في الثلاثين من مارس ١٨١٤م، ونظراً للدور الذي أداه بالمشاركة مع قوات التحالف في إسقاط العاصمة الفرنسية ووضع نهاية لمجد بونابرت العسكري الذي طالما أقلق الدول الأوروبية، فقد حصل مورافيوف على وسام القديسة أنا من الدرجة الثانية، وأصبح رئيسًا لحرس الفرسان عند عودته إلى روسيا. وقد تميز مورافيوف إلى جانب قدراته العسكرية بلباقته واطلاعاته الواسعة، وقدرته على المحاورة والإقناع؛ لذا مثل روسيا في عدد من البعثات الخارجية، فأُرسِلَ في بعثة طارئة إلى بلاد فارس عام ١٨١٧م ومكث بها لمدة ثلاثة أعوام(٥)، ثم أرسل في عام ١٨١٩م في بعثة إلى خوارزم وتركمانستان كُلِّفت برصد أهم مظاهر السواحل الشرقية لبحر قزوين، والتنقيب عن المعادن في هذه الجهات، واكتشاف طرق ممكنة تساعد روسيا على الوصول إلى الهند، هذا إلى جانب دعم العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين روسيا وتركمانستان وخوارزم، ونظراً للجهود التي بذلها مورافيوف في هذه البعثة رُقّي إلى رتبة عقيد Colonel، في الرابع من مايو ١٨٢٠م، وبعد عودته إلى موسكو نشر مورافيوف أهم أحداث هذه البعثة في مجلدين أوضح في مقدمتهما أنهما يشتملان على معلومات ذات قيمة سياسية وجغرافية واقتصادية وإثنوغرافية يمكن أن تفيد الحكومة الروسية في مشروعاتها القادمة في هذه المناطق(٦).

تجددت زيارة مورافيوف إلى الساحل الشرقي لبحر قزوين في مارس ١٨٢١م ومكث فيها عشرة أشهر بذل خلالها جهودًا واضحة لدعم النفوذ الروسي في هذه المنطقة، لهذا حصل على وسام القديس فلاديمير من الدرجة الثالثة، في الثالث من سبتمبر ١٨٢٢م، ثم شارك مورافيوف في الحرب الروسية الفارسية (١٨٢٦-١٨٢٨) تحت قيادة إيفان باسكيفيتش Ivan Paskevich (١٧٨٢-١٨٥٦)، وقد لعب دوراً

مهمًّا في إسقاط قلعة عباس آباد في يوليو ١٨٢٧م، وفي احتلال قلعة مرند Merend ومدينة تبريز Tabriz، ولهذا رقي إلى رتبة اللواء General في الخامس عشر من مارس ١٨٢٨م(٧).

تحت قيادة إيفان باسكيفيتش شارك مورافيوف في الحرب الروسية العثمانية عام ١٨٢٨م(٨)، ولعب دوراً بارزاً في إسقاط قلعة قارص؛ ولهذا منح وسام القديس جورج ST. George من الدرجة الثالثة في أول يناير ١٨٢٩م، كما حقق انتصارات واضحة في أرضروم Erzurum وبايبورت Bayburt، ولهذا كوفئ بالحصول على وسام القديس فلاديمير من الدرجة الثانية عام ١٨٣٠م(٩). وفي التاسع والعشرين من نوفمبر ١٨٣٠م نشب عصيان مسلح ضد الامبراطورية الروسية في بولندا، وزداد نطاقه بانضمام الضباط وكثير من شرائح المجتمع البولندي له؛ فتحول إلى ثورة أقلقت مضجع الروس؛ لذا كان لزامًا على قوات الجيش الروسي القضاء عليها، ولعب مورافيوف دوراً واضحًا في اقتحام وارسو Warsaw؛ ولهذا رُقِّيَ في الخامس عشر من إبريل ١٨٣١م إلى رتبة فريق Lieutenant General، ثم عُين في العشرين من سبتمبر من العام نفسه رئيسًا لفرقة المشاة الرابعة والعشرين(١٠)، ومما سبق عرضه يتضح أن القيصر نيقولا الأول قد اختار نيقولاي مورافيوف لإرساله إلى السلطان محمود الثاني ثم إلى محمد علي؛ لما اشتهر عنه قوة شخصيته، وقدراته العسكرية التي مكنته وهو في السابعة والثلاثين من عمره أن يكون قائدًا لفرقة من فِرق مشاة الجيش الروسي، هذا إلى جانب ما عرف به من مهارة دبلوماسية، ولسابق نجاحه في البعثات الدبلوماسية إلى خوارزم وبخارى وتركمانستان(١١).

ثانياً: دوافع إرسال بعثة مورافيوف:

تطلع محمد علي للسيطرة على بلاد الشام لأهميتها الإستراتيجية والاقتصادية والدينية والثقافية، فقد رأى أن ضم الشام سيمنح مصر الأمن والاستقرار والنظام، وأنهما سيشكلان معًا وحدة إستراتيجية قوية، ولهذا كتب محمد علي لوكيله في

الأستانة ليعبر له عن هذه الأهمية بقوله: "إن الشام لازمة لسلامة مصر"، كما رغب محمد علي في استغلال موارد الشام الغنية كالأخشاب والمعادن والفحم الحجري؛ لخدمة أغراضه الصناعية، كذلك شكلت المنتجات الشامية الأخرى مثل الحرير والزيتون والصابون والجلود والطباق والخيول – غنى وثقلاً في الميدان الاقتصادي أراد محمد علي الاستفادة منه في مشاريعه المتعددة، بالإضافة إلى ما تحتضنه الشام من منتجات آسيا الوسطى والشرق الأقصى، هذا في الوقت الذي تمد فيه مصر الشام باحتياجاتها من المنتجات الزراعية والصناعية؛ وبهذا يتحقق التكامل الاقتصادي بين مصر والشام، كما كان للشام أهمية دينية وثقافية؛ فهي تضم القدس الشريف إلى جانب دمشق إحدى المراكز القيادية للثقافة الإسلامية(١٢)، ولهذا طلب محمد علي من السلطان محمود الثاني ولاية دمشق متعهدا حفظ الأمن في بلاد الشام، لكن السلطان رفض ذلك خوفًا من قوة محمد علي(١٣).

سنحت الفرصة لمحمد علي لضم الشام متذرعا بالمشكلات التي حدثت بينه وبين عبدالله باشا والي عكا، الذي رفض تسليمه ستة آلاف من الفلاحين الذين فروا إلى الشام، معلنًا أن جميع السكان بوصفهم رعايا للسلطان العثماني، يستطيعون العيش في أي جزء من أجزاء الدولة العثمانية، فبدأ محمد علي عملياته العسكرية، وأمر بتحرك القوات المصرية برئاسة إبراهيم باشا إلى الشام في أكتوبر ١٨٣١م، معلنًا أنه لازال على إخلاصه للسلطان، ولم يسير عساكره إلى الشام إلا ردا على إساءة عبدالله باشا والي عكا(١٤)، حاول السلطان محمود الثاني التدخل لحل الأزمة من خلال إرسال مندوبيه إلى الطرفين المتنازعين، فأرسل نظيف أفندي كاملي زاده محاسب الحرمين الشريفين إلى محمد علي، كما أرسل راسم أفندي إلى عبدالله باشا (١٥)، وفي الوقت نفسه أمر محمد علي بسحب قواته من الشام(١٦) ، لكن الأخير أصر على انضمام الشام إليه ولو "بصفة مؤقتة"، حتى يتمكن من القضاء على الاضطرابات في بلاد الشام التي تؤثر بشكل كبير على أمن مصر(١٧).

استطاع إبراهيم باشا أن يفتح غزة ويافا وصيدا دون أن يلاقي مقاومة شديدة[١٨]، كما حاصر عكا لمدة ستة أشهر حتى سقطت في السابع والعشرين من مايو ١٨٣٢م[١٩]، ثم ضم طرابلس ودمشق وحمص بعد أن هزم فيها العثمانيين هزيمة منكَرة في يوليو ١٨٣٢م[٢٠]، ومع تقدم القوات المصرية أعلن الأهالي خضوعهم لها[٢١]، وحرص إبراهيم باشا على دعم الوجود المصري في الشام، فأمر ببناء الطَّوابي ودعم القائم منها، كما دعم استحكامات الشام لتأمين إقامتهم بها[٢٢]، ورغم تلك الانتصارات السريعة والمتتالية التي حققتها قوات إبراهيم باشا إلا أن السلطان محمود الثاني كان مؤمنًا بسهولة استرجاع الشام[٢٣]، لكن هزيمة القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم حسين باشا في أدنة في التاسع والعشرين من يوليو ١٨٣٢م أزعجت السلطان فعزل حسين باشا وعين بدلاً منه رشيد محمد باشا (١٧٨٠-١٨٣٩) الذي هُزِم هو الآخر في موقعة قونية في الحادي والعشرين من ديسمبر ١٨٣٢م، وأصبح الطريق مفتوحًا أمام إبراهيم باشا للتقدم نحو الأستانة[٢٤]، فقد أرسل لوالده خطابًا في أعقاب موقعة قونية، أوضح فيه أنه من الضروري "الاهتمام بطرد هذا اللعين [السلطان محمود الثاني] وإجلاس مولانا ولي العهد على أريكة السلطنة العثمانية"، مشيرًا أنه لا خوف البتة من الدول الأوروبية؛ لأنها لا وقت أمامها لمنع تقدم القوات المصرية نحو الأستانة، وإذا أرادوا اتخاذ إجراء ضد محمد علي بعد بلوغ القوات المصرية العاصمة العثمانية فلن يستطيعون ذلك لأن هذه المسألة ستكون قد حسمت [٢٥]، ويتضح من ذلك عزم إبراهيم باشا بروحه الثائرة على إسقاط محمود الثاني، ورغبته في إحلال محمد علي بدلاً منه.

خشيت روسيا من تطور النزاع فكانت أولى الدول الأوروبية التي اتخذت موقفًا مناهضًا لتوسع محمد علي في الشام، وقد عبر عن ذلك مورافيوف بقوله: "لقد أدت الانتصارات الكبرى التي قام بها إبراهيم باشا إلي حدوث انقلاب في الدولة العثمانية، كاد هذا الانقلاب أن يؤثر علي استقرار أوروبا وهدوئها، ولم تبعد كل هذه الأحداث والظروف عن روسيا التي بادرت بإبداء رغبتها في الدفاع عن سلامة

أراضي الدولة العثمانية"[٢٦]، ويمكن تفسير الموقف الروسي في ضوء عاملين هما:

الأول: اتباع روسيا سياسة جديدة تجاه الدولة العثمانية عقب الحرب التي دارت بينهما عام ١٨٢٨م، التي احتلت خلالها القوات الروسية مدينة أدرنة وأصبحت على مقربة من الأستانة[٢٧]، وعلى الرغم من أن مورافيوف ذكر أن هذه السياسة الجديدة مبعثها فكر القيصر نيقولا الأول نفسه، وأنه كان منفردا برأيه دون الآخرين، وأنه هو الذي أراد تغيير النهج السياسي القائم منذ عهد بطرس الأكبر Peter the Great (١٦٨٢-١٧٢٥) تجاه الدولة العثمانية، واستبدال الصدام بالوفاق[٢٨]، إلا أنه يمكن القول: إن سبب هذه السياسة الجديدة هو تكليف القيصر نيقولا الأول لجنة سرية مكونة من سبعة من السياسيين الروس لتبحث في النتائج التي قد تترتب على انهيار الدولة العثمانية، وقد افتتحت اللجنة أعمالها في السادس عشر من سبتمبر ١٨٢٩م، واتفقت آراء أعضائها على أنه من مصلحة روسيا الاحتفاظ بالدولة العثمانية كجارة ضعيفة مهددة بثورات رعاياها المسيحيين، بدلاً من انهيارها وإحلال جيران أقوياء يهددون المصالح الروسية، وأكدت أن تدمير الدولة العثمانية سيؤدي إلى نشوب حرب أوروبية عامة؛ ولهذا تغيرت سياسة روسيا التقليدية العدائية تجاه الدولة العثمانية لتحل محلها سياسة جديدة مبنية على الدبلوماسية النشطة، والهيمنة السياسية[٢٩].

الثاني: قلق روسيا من سيطرة محمد علي على الأستانة، وإقامة دولة قوية تقف كحجر عثرة أمام المحاولات الروسية في الوصول إلى المياه الدفيئة في البحر المتوسط، وأن "تمهد تلك الدولة السبيل لفرنسا من أجل بسط سيطرتها على مضيق البسفور"[٣٠]، وقد ذكر لوتسكي Lutsky نقلاً عن نسلرود Nesselrode (١٨١٤-١٨٥٦) وزير خارجية روسيا أن الهدف من التدخل الروسي هو "إنقاذ القسطنطينية من إمكانية وقوع انقلاب يضر بمصالحنا ويؤدي إلى سقوط دولة ضعيفة، إلا أنها صديقة، واستبدال دولة بها أقوى، ستصبح وهي تحت قيادة فرنسا موردا لآلاف المصاعب بالنسبة لنا"[٣١]، وقد كانت روسيا تخشى قوة محمد علي ولاسيما أن مصر

في عهده اكتسبت مكانة سياسية واقتصادية في نظر أوروبا، كما أنه شكل جيشًا قويًّا وبحرية متقدمة جعلت له ثقًلا في الميدان الدولي(٣٢).

اتخذت روسيا منذ باكورة انتصارات إبراهيم باشا في بلاد الشام إجراءات توضح موقفها العدائي من محمد علي؛ كان أهمها سحب قنصلها لافيزون Lavison من مصر في أول أغسطس ١٨٣٢م(٣٣)، وقد أخبر محمد على القنصل الروسي في أثناء حفلة وداعه أنه من مصلحة روسيا حصول محمد علي على سوريا؛ لأنه سيدفع تعويضات للسلطان العثماني تمكنه من تسديد ديونه لروسيا، مشيرًا إلى أنه لا يطمع في عرش السلطان، وأنه إن ربح المعركة النهائية سوف يعزل السلطان محمودًا الثاني؛ ولكنه سيحترم حق أولاده في الخلافة، موضحًا اعتماده على انتصاراته العسكرية أكثر من الجوانب الدبلوماسية؛ لأن الأخيرة عرضة للتقلبات(٣٤). وهنا يتضح أن محمد علي أراد أن يؤكد للقنصل الروسي قوة موقفه تلك القوة التي استمدها من انتصارات قواته العسكرية، وأنه من مصلحة الروس التعاون معه، للحصول على مزيد من الامتيازات على حساب الدولة العثمانية، لكن حوار محمد علي لم يغير من الأمر شيئًا؛ فقد غادر لافيزون الإسكندرية متجها إلى الأستانة، وقد أعرب السلطان محمود الثاني في أثناء مقابلته له عن امتنانه من موقف القيصر من "تجاوزات" محمد علي(٣٥)، كذلك أصدر القيصر نيقولا الأول تعليمات واضحة إلى جميع الرعايا والموظفين والتجار الروس بوقف التعامل التجاري مع محمد علي وعدم تقديم أية معونة لقواته(٣٦).

ثالثاً: بعثة مورافيوف بين الأستانة والإسكندرية:

بينما كان مورافيوف يقضي إجازته في سان بطرسبرج جاءه أمر من القيصر بإنهائها(٣٧)، وكلفه بمهمة السفر إلى الأستانة؛ لعرض المساعدة العسكرية الروسية على السلطان محمود الثاني، فضلاً عن عرض فكرة الوساطة الروسية في الخلاف الدائر بينه وبين محمد علي(٣٨)، وقد حرص القيصر على إحاطة مهمة مورافيوف

بنوع من السرية في بادئ الأمر، وأشار مورافيوف في كتاباته أن القيصر أمره بأن يخفي وجهته فى أثناء مغادرته سان بطرسبرج، وألا يصرح لأحد ممن تبعه في تلك البعثة بطبيعة المهمة المكلفين بأدائها[٣٩]، ويمكن القول: إن السبب في ذلك هو رغبة القيصر في استغلال الموقف الدولي والصراع المحتدم في تحقيق وفاق روسي عثماني؛ يحقق لروسيا هدفها في الوصول إلى المياه الدفيئة سلما وليس حربا في غيبة من الدول الأوروبية التي أبت أن تتدخل في هذا النزاع المحتدم لأسباب متعددة.

على أية حال مهد القيصر لإرسال بعثة مورافيوف إلى الأستانة، بإصدار أوامره في الخامس من ديسمبر ١٨٣٢م بتقدم الفرقاطة "ستاندرات" Standrat من سباستبول Sebastopol – قاعدة الأسطول الروسي على البحر الأسود– إلى الأستانة من أجل الدفاع عنها في حالة وصول القوات المصرية إليها[٤٠]. وفي الحادي والعشرين من ديسمبر عرض بوتنييف Boutenief – سفير روسيا في الأستانة – على الباب العالي رسمًيا مساعدة روسيا المسلحة ضد قوات محمد علي[٤١]، ثم وصل مورافيوف إلى الأستانة في الثالث والعشرين من ديسمبر ١٨٣٢م وجدد عرض بوتنييف بإرسال حملة مكونة من سبع فرقاطات Frégates[٤٢] حربية من الأسطول الروسي المرابط في سباستبول، بالإضافة إلى أربعين ألفا من القوات البرية؛ للدفاع عن الأستانة أمام هجوم قوات محمد علي المرتقب، مشيرًا إلى صداقة القيصر للسلطان وحرصه على الحفاظ على دولته[٤٣]، وأنه مكلف من قبل القيصر بالسفر إلى الإسكندرية ليحذر محمد علي من سوء عاقبة ما أقدم عليه، ويحذره من انتقام القيصر إذا لم يخضع للسطان، مشيرا إلى أن روسيا لا تستطيع أن تبقى غير مبالية تجاه الخطر الداهم الذي يَحيق بالعاصمة العثمانية ويهدد الإمبراطورية بالتفتت[٤٤].

جاء العرض الروسي ليكون بمثابة طوق النجاة للسلطان ولقواته المنهزمة، فأظهر محمود الثاني ميلاً للموافقة على العرض الروسي إلا أن كبار رجال الدولة العثمانية تبنوا رأيًا مخالًفا؛ فقد اعتبروا أن اللجوء إلى روسيا أشد خطراً من التقدم

المصري؛ لأنه سيفتح الباب أمام الروس للتدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية بما يفرض الهيمنة الروسية على الباب العالي، وهو ثمن أكبر من تسليم سوريا لمحمد علي، وقد طالبت هذه الفئة بانسحاب مورافيوف فوراً، والعمل على حشد المساندة الأوروبية اللازمة[٤٥]، وبالفعل اقتنع السلطان مؤقتًا بهذا الرأي، وبخاصة أن فرنسا بدأت تدلى بدلوها في الموقف، وخشيت من استغلال الروس لخوف السلطان واضطرابه لتحوذ قصب السبق في الأستانة، فحاول دي فارين De Farenne (١٧٩٥-١٨٧٢) -القائم بأعمال السفارة الفرنسية بالأستانة- إقناع السلطان بعدم قبول معاونة القيصر، ونصحه بإرسال أحد مندوبيه للتفاوض مع محمد علي لحل الأزمة القائمة، وأنه سيرسل كتابًا إلى إبراهيم باشا يطلب منه وقف زحفه نحو الأستانة[٤٦].

أراد مورافيوف إدارة الموقف بشكل يضمن تحقيق أقصى فائدة للروس، ولهذا فإنه بمجرد وصوله إلى الأستانة أرسل نائبه دوهاميل[٤٧] Duhamel (١٨٠١-١٨٨٠) إلى بلاد الشام ليتفاوض مع إبراهيم باشا[٤٨]، فوصلها في الخامس من يناير ١٨٣٣م، وأخبر إبراهيم باشا بنبأ إرسال القيصر للجنرال مورافيوف للتفاوض مع محمد علي، وطلب منه وقف العمليات العسكرية في الشام، محذرًا إبراهيم باشا من مواجهة القوات الروسية له في حالة توجهه صوب الأستانة، وأن الدول الكبرى لن تسمح له بذلك، ولتأكيد تهديده ذكر دوهاميل أن أسطول البحر الأسود الروسي وضع في حالة تأهب لمساعدة السلطان متى طلب المساعدة[٤٩]، لكن إبراهيم باشا أخبره بأنه يحمل فقط منصب قائد الجيش، وليس من حقه التدخل في الشئون السياسية، كما أنه لم يتلق أية تعليمات من والده بوقف تقدمه نحو الأستانة[٥٠].

أراد مورافيوف أن يكمل المهمة التي كلفه القيصر بها، وأن يسافر إلى الإسكندرية لمقابلة محمد علي، وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين، ومنهم قسطنطين بازيلي، يذكرون أن مورافيوف سافر إلى الإسكندرية بناء على طلب من

السلطان محمود الثاني؛ ليجبر محمد علي على وقف عملياته العسكرية مقابل تخلي السلطان له عن كل سوريا الجنوبية[٥١]، لكن الراجح أنه سافر بناء على تكليف القيصر وليس بطلب من السلطان، إلا أن هذا التكليف قد وجد هوى في نفس السلطان محمود الثاني، فقد ذكر مورافيوف أن خروجه من الأستانة قد صاحبه وداعًا عسكريًّا؛ فقد قامت السفن العثمانية بإطلاق إحدى وعشرين طلقة من مدافعها تحية لمورافيوف وبعثته[٥٢].

خرج مورافيوف من الأستانة في الرابع من يناير ١٨٣٣م على متن سفينة حربية بصحبه عدد من ضباط الجيش الروسي[٥٣]، وفي ذلك دلالة على رغبة القيصر في إرهاب محمد علي وإجباره على الرضوخ لمطالبه، وكانت الظروف البحرية كما ذكر مورافيوف شديدة السوء، ولكنهم تمكنوا من استكمال رحلتهم البحرية حتى وصلوا إلى قلاع الدردنيل، وهناك التقوا مع القادة العسكريين العثمانيين، وكان بعضهم قد أسَرهم الروس من قبلُ في الحرب الروسية العثمانية (١٨٢٨-١٨٢٩)، فكانوا يعرفون مورافيوف جيداً، وحينما أراد أن يحصل منهم على معلومات بشأن ما يحدث في آسيا الصغرى، أشاروا بأن انتصارات إبراهيم باشا توالت، مما دفع الجنود العثمانيين إلى الفرار، فأدرك مورافيوف أن محمد علي قد تزايدت قوته بهذه الانتصارات، ولهذا لابد أن يتعامل معه "بطريقة خاصة" [٥٤].

وصل مورافيوف إلى الإسكندرية في الثالث عشر من يناير ١٨٣٣م، وقد اختلفت الآراء حول ما قامت به بعثته في مصر، فهناك من يذكر أن دوره اقتصر على محاولة إقناع محمد علي بضرورة التراجع عن مشروعاته التوسعية على حساب الدولة العثمانية، وحل المشكلة القائمة بينه وبين السلطان بالطرق السلمية، وأن محمد علي لم يعطه وعدًا قاطعاً بذلك، ولهذا فإن بعثته لم يكن لها نتائج محددة[٥٥]، في حين يذكر آخرون أن مورافيوف استخدم أسلوبًا حادًا وحازمًا في مفاوضاته مع محمد علي، وأنه حمل رسالة تهديد شفوية لمحمد علي باشا مفادها: المطالبة بانسحابه من بلاد الشام، وتسليم أسطوله للسلطان العثماني، وتخفيض عدد أفراد جيشه إلى عشرين ألف رجل، وإلا فإن

القوات الروسية ستكون بمواجهته إذا واصل تقدمه شمالا باتجاه الأناضول[٥٦]، وقد ذكر جوزف حجار Hajjar أن مورافيوف استخدم لهجة حادة في حديثه مع الباشا، وأكد على ضرورة وقف جميع العمليات العسكرية، وأن يخضع للسلطان العثماني، وأن مورافيوف كان يتصرف بصراحة وحزم سادا أمام محمد علي كلَّ سبيل إلى حوار دبلوماسي، حتى عندما سأله محمد علي عن رغبة "صديقة القيصر في وضع حد للنزاع"، أجاب بوضوح: " إن القيصر ليس صديقك مطلقاً لكنه صديق السلطان وهو يريد أن يبقى كذلك"[٥٧].

وقد ذكر مورافيوف في كتاباته ما دار بينه وبين محمد علي بشكل مفصل، يتضح منه أنه خاطب محمد علي خطابًا "دبلوماسيًّا حازمًا"، أظهر خلاله موقف روسيا الواضح والمدعِّم للسلطان العثماني، وأن القيصر لن يسمح بحال بوصول قوات محمد علي إلى الأستانة، وإسقاط العرش العثماني، مشيرًا إلى ضرورة وقف جميع العمليات العسكرية، وأن يصدر أوامره إلى إبراهيم باشا بالتوقف عن التحرك نحو الأستانة، لما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة أهمها مواجهة القوات الروسية له[٥٨]، فكان خطاب مورافيوف مع محمد علي يحوي تهديدًا ضمنيًّا بعدم السماح له بالمساس بحقوق السلطان العثماني، وقد كان لمواقف روسيا السابقة من حيث سحب قنصلها في الإسكندرية، وإصدارها أوامر واضحة لتجارها بمنع التعامل مع محمد علي خير تأكيد على ذلك الموقف المؤيد للدولة العثمانية.

رابعاً: نتائج بعثة مورافيوف :

تزامن مع وجود مورافيوف في الإسكندرية إرسالُ الدولة العثمانية محمد رفعت خليل باشا –مشير الطوبخانه – مندوبًا عن السلطان، ليعرض على محمد علي ولاية عكا مقابل وقف العمليات العسكرية[٥٩]، وذكر مورافيوف أن محمد علي انزعج من بعثة خليل باشا[٦٠]، ورفض ما عرضه عليه بشأن الصلح، ولكنه أكد لمورافيوف أنه سيصدر أوامره لإبراهيم باشا بالتوقف عن الزحف نحو الأستانة، مقابل تسوية الأمور والحصول على حكم الشام كاملة[٦١]، وفي ذلك دلالة على أن مورافيوف قد

وفق إلى حد كبير في إثارة مخاوف محمد علي بشأن مساعدة روسيا للسلطان العثماني، فمال إلى الصلح.

أرسل إبراهيم باشا إلى محمد علي يخبره بما وصله من معلومات بشأن قدوم مورافيوف إلى الإسكندرية، وينصحه بألا يفكر في الصلح مع الدولة العثمانية إلا بعد أن يتأكد حصولُ مصر على الاستقلال التام؛ حتى تتخلص من إرهاق الدولة العثمانية لها بالتكاليف التي لا تنقطع، كما طلب ضم جزيرة قبرص؛ لما لها من منفعة بالنسبة للأسطول المصري، كذلك ضم ألوية أنطالية وعلائية وإيج إيل؛ لأنها بلاد الخشب؛ معللاً بأن الدولة التي ليس عندها أخشاب كافية، ويتكبد أسطولها المشاق الزائدة[٦٢]، لكن محمد علي أرسل إليه يأمره بوقف زحفه نحو الأستانة، وقد علق مورافيوف على ذلك بأنه يعد نجاحًا واضحًا لمهمته في الإسكندرية[٦٣].

وفي تلك الأثناء (أواخر يناير ١٨٣٣) كان إبراهيم باشا تقدم حتى وصل إلى كوتاهية، فخشى السلطان من ذلك، وقد أخطأ السلطان منذ البداية في حساباته حينما ظن أن إنجلترا كعادتها لن تدع الأستانة تتعرض للخطر دون أن تقدم إلى حمايتها؛ ولهذا طلب منها أن تعينه بأسطولها، ولكن إنجلترا لم تجبه؛ لانشغالها ببعض المشكلات الداخلية مثل الإضرابات العمالية، وإجراءات الإصلاح النيابي، إلى جانب بعض المشكلات الخارجية التي أتت في مقدمتها الأزمة البلجيكية[٦٤]، أما فرنسا فكان محمود الثاني يعلم قوة العلاقة التي تربطها بمحمد علي، وأنها لن تقدم له العون، بل إنه حملها –كما ذكر مورافيوف– مسئولية تجاوزات إبراهيم باشا العسكرية، وأنه لولا الدعم الذي تقدمه لمحمد علي لما جرأ على فعل ما قام به[٦٥].

لم يجد السلطان بُدًّا من الاستعانة بالروس؛ فأرسل إلى بوتتييف سفير روسيا في الأستانة في أول فبراير ١٨٣٣م يطلب منه إرسال أسطول روسي إلى منطقة المضايق، على أن يصحبه قوة برية تُرسل إلى آسيا الصغرى، وعلى الفور استجاب القيصر لطلب السلطان، وتحركت القوات الروسية برئاسة لازاريف Lazarev من سباستبول في الثاني من فبراير ١٨٣٣م، ويذكر مورافيوف أن القوات الروسية التي دخلت البسفور في الثامن من فبراير ١٨٣٣م[٦٦]، تكونت من وثلاثه فرقاطات ، وسفينة قرويت[٦٧] Corvette ، وأربع سفن حربية كبيرة[٦٨]، في حين تذكر الوثائق البريطانية أنها تكونت من أربعة فرقاطات ذات الحجم الكبير، وخمس سفن حربية، وعدد من الزوارق ذات تجهيز حربي كامل[٦٩]، وقد صاحبها أربعة عشر ألف جندي[٧٠].

وبعد عودة مورافيوف من الإسكندرية في السابع من فبراير ١٨٣٣م تسلم القيادة العامة للقوات الروسية الموجودة في الأستانة[٧١]، وفي الرابع والعشرين من مارس وصلت مجموعة عسكرية ثانية من الروس تحت قيادة الجنرال كوماني Kumani بصحبة خمسة آلاف مقاتل واستقرت في بلدة أنكيار إسكلة سي Unkiar Iskelessi [٧٢]، وفي الحادي عشر من إبريل وصلت الدفعة الثالثة من القوات الروسية تحت قيادة الأميرال ستوجسكافا Stozhevskogo يصحبه خمسة آلاف جندي وثلاثه سفن حربية كبيرة[٧٣]، وحاول مورافيوف جاهًدا خلال تلك الفترة أن يطمئن السلطان العثماني ويوضح له أن روسيا لن تدعه بمفرده أمام طموحات محمد علي، وأن الأخير أصدر أوامره إلى إبراهيم باشا بمنع التقدم نحو الأستانة[٧٤].

أثار الوجود الروسي في الأستانة استياء الدول الأوروبية وعلى رأسها إنجلترا وفرنسا، فقاموا بالضغط على السلطان العثماني من ناحية، وعلى محمد علي من ناحية أخرى؛ لإنهاء الخلاف بينهما، فوقع الطرفان على صلح كوتاهية في الثامن من إبريل ١٨٣٣م، ويقضي هذا الصلح بأن يتخلى السلطان لمحمد علي عن الشام، وإقليم أدنة مع تثبيته على مصر وكريت والحجاز، مقابل جلاء الجيش المصري عن باقي الأناضول، لكن روسيا لم ترض أن تخرج من الأستانة صفر اليدين بعدما قدمت للدولة العثمانية من المساعدات، ولهذا أرسل القيصر الكونت

أورلوف Orlov إلى الأستانة كسفير فوق العادة فوصلها في الثالث والعشرين من إبريل ١٨٣٣م في محاولة منه لإقناع السلطان محمود الثاني بضرورة تقوية العلاقات الروسية العثمانية(٧٥)، وذكره أن روسيا هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي قدمت له الدعم العسكري في صراعه ضد محمد علي؛ وكان السلطان محمود الثاني يعلم جيًدا أن ما حصل عليه محمد علي بمقتضى صلح كوتاهية لن يرضيه، وأنه لولا ضغط الدول الأوروبية عليه لإنهاء تلك الأزمة خوفًا من تزايد النفوذ الروسي في الأستانة لاستمر حتى أصبح يهدد عرش السلطنة العثمانية.

لم يرد السلطان محمود الثاني أن يخسر علاقته بروسيا التي كانت سببًا في إنقاذ عرشه، ولهذا عقد السلطان معها معاهدة "أنكيار إسكله سي" في السابع من يوليه ١٨٣٣م، وهي بمثابة تحالف دفاعي مشترك لمدة ثمان سنوات، وأهم ما تضمنته تقديم المساعدة المتبادلة من أجل تحقيق استقرار الدولتين، والواقع أن هذه المساعدة كان يقصد بها ما تقدمه روسيا من مساعدات من أجل سلامة الدولة العثمانية؛ إذ بدت روسيا خلال تلك الفترة بمظهر المدافع عن كيان الدولة العثمانية ولا سيما من طموحات محمد علي، فقد جاء في أحد بنودها السرية قيام الدولتين بمواجهة أي تهديد داخلي في الدولة العثمانية يكون منبعه محمد علي بالتحديد(٧٦)، كما أشارت في بند آخر إلى إغلاق مضيق الدردنيل في وجة السفن الحربية الأجنبية كافة، باستثناء السفن الروسية(٧٧).

ومن العرض السابق يتضح أن روسيا استطاعت من خلال بعثة مورافيوف وما تبعها من تقديم الدعم الدبلوماسي والعسكري للسلطان العثماني من الوصول إلى المياه الدفيئة سلمًا بعد كل محاولاتها العسكرية الفاشلة لتحقيق مأربها، وأن عام ١٨٣٣م يعد عامًا مهمًّا في تاريخ العلاقات الروسية العثمانية فقد سيطرت روسيا للمرة الأولى والأخيرة على الأستانة، وأثبتت الدبلوماسية الروسية الجديدة تجاه الدولة العثمانية نجاحًا باهرًا، أقلق الدول الأوروبية وجعلها تتدخل بحزم وشدة لإنهاء النزاع الدائر بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي.

الهوامش :

(١) بعد انضمام إنجلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية في حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) عانت القوات الروسية المتمركزة في سباستبول من شدة حصار قوات التحالف لها، فأراد القيصر ألكسندر الثاني Alexander II (١٨٥٥-١٨٨١) أن يخفف الضغط على القوات الروسية المحاصرة؛ فأمر نيقولاي مورافيوف بقيادة جيش مكون من خمسة وعشرين ألف رجل؛ لمهاجمة قوات التحالف في قارص، وذلك في يونيو ١٨٥٥م، وقد تمكن مورافيوف من الانتصار على هذه القوات، وأسقط قلعة قارص، في وقت عانت فيه القوات الروسية من الضعف وانخفاض الروح المعنوية المحفزة على الاستمرار في القتال؛ ولهذا أطلق عليه ألكسندر الثاني لقب "مورافيوف قارص" تكريمًا له. **انظر:**

- Остен-Сакен Д. Е., "Николай Николаевич Муравьев в 1828—1856 гг", Русская старина, Т. 11, № 11, 1874, СС. 540-543.

(2) Муравьев-Карсский Н. Н., Собственные записки: 1811–1816, именной указ: Вальковичаи, А. М, Климанова, В. Е., Москва: Кучково поле, 2015, С.5

(3) Riehn, Richard K., 1812: Napoleon's Russian Campaign. New York: John Wiley and Sons, 2001, p. 253.

(4) Муравьев-Карсский Н. Н. Собственные записки: 1811–1816, СС.6-8.

(5) Европеус И. И., "Николай Николаевич Муравьев", Русская старина, Т. 11, № 9, 1874, СС. 182-184.

(6) Муравьев (Карский) Н.Н., Путешествие в Туркмению и Хиву в 1819 и 1820 годах, Первой части, Москва: В типографии Августа Семена,1822, СС.1-5.

(7) "Всеподданнейший рапорт графа Паскевича от 19 мая 1831 года", Акты Кавказской Археографической Комиссии. Т. VII, СС. 502-503.

(٨) لم يكن إعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية في السادس والعشرين من إبريل ١٨٢٨م، بسبب خلاف واضح بينهما، لكن روسيا أرادت الاستفادة من الوضع العسكري السيئ في الدولة العثمانية التي كانت بلا جيش قوي بعد أن تخلص السلطان محمود الثاني من الانكشارية عام ١٨٢٦م، وشرع في إقامة جيش جديد وفق النظم الأوروبية، ثم أصبحت بعد موقعة نفارين Navarin أكتوبر ١٨٢٧م بلا أسطول، في الوقت الذي شعرت فيه روسيا بقوتها فقد حققت نصرًا كبيرًا على الإيرانيين عام ١٨٢٨م، وأجبرتهم على دفع تعويضات بالغة، لهذا اجتازت القوات الروسية نهر بروث Pruth ودخلت الأراضي العثمانية في الثامن والعشرين من مايو ١٨٢٨، واستطاع الروس احتلال إيساقجة وإبرائيل واستولوا على نهر الدانوب، واحتلوا في الحادي عشر من يونيو إنابة؛ ولهذا طلب السلطان محمود الثاني من محمد علي أن يتقدم ابنه إبراهيم بقواته لمساعدة الدولة العثمانية، كما طلب من محمد علي إرسال الذخيرة والمدافع الموجودة في الإسكندرية لنجدة الدولة العثمانية في حربها ضد الروس، لكن محمد علي تقاعس عن إرسال قواته متعلًلا بمحاصرة الروس للبحر المتوسط. **انظر**:

- بحر برا، محفظة ١٢، ملف ٧٣، بتاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٢٤٣هـ؛ وملف ٨٥، بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٤٣هـ، ومحفظة ١٣، ملف ١٤، بتاريخ غرة ربيع الآخر ١٢٤٤هـ؛ وملف ٢١، بتاريخ ٢ رجب ١٢٤٤هـ؛ و ملف ٥٠، بتاريخ أول صفر ١٢٤٤هـ.

(9) Остен-Сакен Д., op.cit., C. 535.

(10) Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах, Т. 3, Дипломатические сношения, Москва:1869, С.1.

(11) Волков, С. В, Генералитет Российской империи, Т. 2, Москва: 2009, С. 176.

(١٢) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، الطبعة الثانية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠)، ص ص ٢٠-٢٢.

(13) Базили, К.М., Сирия и Палестина под турецким правительством, Одесса: Ноябрь 1861, С.103.

(١٤) ملخصات دفاتر عابدين، دفتر ٣، مكاتبة رقم ١، بتاريخ ٥ شعبان ١٢٤٧هـ، من الجناب العالي إلى الباب العالي.

(١٥) محافظ الأبحاث، محفظة ١٤٨، تقويم الوقائع العثمانية، العدد الرابع، بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) ملخصات دفاتر عابدين، دفتر ٣، مكاتبة رقم ٦١، بتاريخ٢٤ رمضان ١٢٤٧هـ من الجناب العالي إلى الباب العالي؛ ومكاتبة رقم ٨، بتاريخ ٢ محرم ١٢٤٨هـ من الجناب العالي إلى القبوكتخدا.

(١٨) محافظ أبحاث الشام، محفظة ١٨٥، ملف رقم ١، تقرير عربي رقم ١٨، وارد من متسلم غزة بتاريخ ١٨ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ.

(١٩) وثائق الشام، محفظة ٧، وثيقة ٣٧، بتاريخ ٥ محرم ١٢٤٨هـ.

(٢٠) ديوان خديو، دفتر ٧٧٨، وثيقة ٥٨، بتاريخ ١٧ صفر ١٢٤٨هـ.

(٢١) محافظ أبحاث الشام، محفظة ٦٥، تقرير عربي رقم ٢٨ منقول من جرنال وقائع المصلحة بتاريخ ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٤٧هـ.

(٢٢) محافظ أبحاث الشام، محفظة ٤، ملف ٨٤، ترجمة العريضة الواردة من إبراهيم باشا سرعسكر الجيوش المصرية بسوريا إلى محمد علي باشا، بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ.

(٢٣) وثائق الشام، محفظة ١٣، ملف ١٧٧، ٢٤ ربيع الأول ١٢٤٨هـ.

(24) Lutsky, V., Modern History of the Arab Countries, Moscow: Progress Publishers, 1969, p.106.

(٢٥) وثائق عابدين، محفظة ١٢، وثيقة ١٥٥، من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا، بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٤٨هـ.

(26) Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах. Т 3., С.1.

(27) Chesney, R.A., The Russo-Turkish campaigns of 1828 and 1829: With a View of the Present State of Affairs in the East, New York: Redfield, 1854, p. 199.

(28) Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах, Т. 3, С.1.

(29) Puryear, Vernon John, England, Russian and Straits Question 1844-1856, California: University of California Press, 1931, pp8-12.

(30) Гирченко, Юрий Викторович., "Участие русских войск в Турецко-Египетской войне 1832-33гг", Издатель в: artofwar.ru /g/girchenko, (5 May 2017).

(31) Lutsky, V., op.cit., p.106.

(32) F.O. 78-203, From S. Farren to the Earl of Aberdeen, Extract, 26 July 1830.

(٣٣) ملخصات دفاتر عابدين، دفتر ٢١٠، مكاتبة رقم ٢٦٣، من الجناب العالي إلى السرعسكر؛ محافظ الأبحاث، تقويم الوقائع العثمانية، العدد الرابع والثلاثون، بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٢٤٨هـ.

(34) Hajjar, Joseph N., L'Europe et les destinées du Proche-Orient:

Mohammed Ali d'Egypte et ses ambitions syro-ottomanes, 1815-1848, Damas: Éditions Tlass, 1988, pp.99-102.

(٣٥) محافظ الأبحاث، محفظة ١٤٨،تقويم الوقائع العثمانية، العدد الخامس والأربعون، بتاريخ ٢٤ جماد الآخر ١٢٤٨هـ.

(٣٦) المصدر نفسه، العدد الرابع والثلاثون، بتاريخ ٥ ربيع الأول ١٢٤٨هـ.

(٣٧) تعددت الأقاويل في العاصمة الروسية حول سبب إنهاء إجازة مورافيوف، فبينما أشار بعض الروس إلى أنه سيقود القوات الروسية التي تتقدم إلى سوريا عبر الأناضول، أو أنه سيتولى قيادة بعض القوات العثمانية، رأى بعضهم أنه سيتجه إلى جورجيا، وفي ذلك دلالة على السرية التامة التي ميزت بعثة مورافيوف. **انظر**:

Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах, Т 3., С.10.

(38) Ibid, C.1.

(39) Ibid, C.10.

(40) Потемкина, В. П., История дипломатии, Т. I, Москва :1941, С. 414–415.

(٤١) محافظ الأبحاث، محفظة ١٤٨، تقويم الوقائع العثمانية، العدد الرابع والخمسين، بتاريخ غرة ذي الحجة ١٢٤٨هـ.

(٤٢) الفرقاطة: يطلق عليها بالإيطالية والأسبانية Fregata وبالفرنسية Frégate، وهي نوع من السفن الحربية الخفيفة المتوسطة الحجم، استعملها الأوروبيون والعثمانيون في حوض البحر المتوسط والبحر الأسود منذ أوائل القرن السابع عشر. **انظر**:

– درويش النخيلي، السفن الإسلامية، الإسكندرية: ١٩٧٤، ص ١١٥.

(43) F.O. 78-212, From J.H Mandeville To Palmerston, 31 December 1832.

(44) Hajjar, Joseph N., op.cit., p. 113.

(45) F.O. 78-344, From Campbell To Palmerston, 10 October 1834.

(٤٦) وثائق عابدين، محفظة ١٢، وثيقة ١٥٥، من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٩ شعبان ١٢٤٨م

(٤٧) ألكسندر أوسيبوفيتش دوهاميل Александр Осипович Дюгамель: ولد في السادس والعشرين من يناير ١٨٠١م، والتحق بالخدمة العسكرية في السابع والعشرين من يناير ١٨٢٠م، رقي في إبريل ١٨٢٣م إلى رتبة ملازم ثان، فنقل إلى وحدة "الطبوغرافية

العسكرية"؛ فقام خلال عامي ١٨٢٥-١٨٢٦ برحلة استطلاعية إلى بحر قزوين والبحر الآرال تحت قيادة الجنرال الروسي بيرج Берг (١٧٩٤-١٨٧٤)، ثم عاد إلى موسكو في صيف ١٨٢٦، وقدم تقريرًا مفصلاً للقيصر نيقولا الأول عن تلك الرحلة فترقى إلى رتبة ملازم ثان في الثالث والعشرين من أغسطس ١٨٢٦م، أُرسل بعدها إلى الأستانة، وظل بها حتى أكتوبر ١٨٢٧م، ثم شارك في الحرب الروسية العثمانية (١٨٢٨-١٨٢٩)، كما شارك عام ١٨٣١ في حروب روسيا ضد البولنديين. **انظر**:

- Дюгамель Осипович Александр, www.rusdiplomats.narod.ru, (5 May 2017).

(٤٨) قام دوهاميل في أثناء تلك الزيارة بما بما كلفته به أكاديمية سان بطرسبرج للعلوم والدراسات البحرية St Petersburg Academy of Sciences and the Navy ، بالقيام بجمع معلومات عن مصر وبلاد الشام ثم أرسل تقريرا مفصلاً إلى الحكومة الروسية بشأن تلك المناطق. **انظر**:

– محمد حبيب صالح، "الدبلوماسية الروسية في مصر وبلاد الشام خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات تاريخية، العددان السابع والستون والثامن والستون، ١٩٩٩، ص ٢٢٢.

(٤٩) محمد صبري الدالي، في تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤، ص ١١٦.

(50) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, в 1833 году. М.:1869, СС.151–156.

(51) Базили, К.М., Op, C.129.

(52) Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах, Т. 3., С.63.

(53) Ibid, C.126.

(54) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, СС.151–156.

(٥٥) مصطفى كامل، المسألة الشرقية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة اللواء، ١٩٠٩، ص ١٢٩.

- Экспедиция Черноморского флота на Босфор в 1833 г, Опубликовано в: Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, www. http://militera.lib.ru/ (5 May 2017).

(56) F.0. 78-344, From Parker To ministry foreign, 17 January,1833

(57) Hajjar, Joseph N., op.cit., p. 114.

(58) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, СС. 156- 159.

(59) AD. 1-458, From his Excellency J.H. Mandeville to Vice Admiral Sir Henry Hotlam, 6 Feb 1833. Therapia

(60) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, СС. 163.

(61) Ibid, CC. 162-163.

(٦٢) وثائق عابدين، محفظة ١٣، وثيقة ٨٥، من إبراهيم باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٣ رمضان ١٢٤٨م.

(63) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, СС. 195-163.

(٦٤) أثار استقلال بلجيكا عن هولندا قلق بريطانيا، وبخاصة أن البرلمان البلجيكي حصر ولاية العرش في ثلاثة أسماء مقترحة هم : يوجين دو بيوهارنيس – وهو أحد النبلاء الفرنسيين وابن زوجة نابليون بونابرت الأولى جوزفين تاسشر دي لا باجيري Joséphine Tascher de la Pagerie (١٧٦٣–١٨١٤)، أو أوغست

من ليوشتينبرج (١٨١٠–١٨٣٥) Auguste of Leuchtenberg ابن يوجين، أو الأمير لويس أوف أورليانز Louis of Orleans (١٨١٤-١٨٩٦) ابن ملك فرنسا لويس فيليب Louis Philippe (١٨٣٠–١٨٤٨)، وكان الثلاثة تربطهم علاقات وطيدة بفرنسا ولا سيما الأخيرة، فخافت بريطانيا أن يؤول حكم بلجيكا بشكل غير مباشر إلى فرنسا. **انظر:**

- Pirenne, Henri, Histoire de Belgique, VII: De la Révolution de 1830 à la Guerre de 1914, Bruxelles: Maurice Lamertin Éditeur, 1932, p.14.

(65) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, СС. 156-157.

(٦٦) تذكر الوثائق البريطانية أن دخول قطع الأسطول الروسي إلى البسفور كان في العشرين من فبراير ١٨٣٣. **انظر:**

- AD.1- 458, From his Excellency J.H. Mandeville to Vice Admiral Sir Henry Hotlam, 22 Feb, 1833, Therapia.

(٦٧) القرويت: Corvette هي من السفن الخشبية الكبيرة، وتقدر حمولتها بنحو مائتي طن، ويبلغ طولها واحداً وعشرين ذراعاً، وخمس وثلاثين ذراعاً، وهي ذات ثلاث سواري، واستخدمت فيها الأشرعة المربعة الشكل Square Sails التي تزيد من سرعتها. انظر:

– محمد محمود السروجي، "البحرية المصرية في العصر الحديث"، في كتاب: تاريخ البحرية المصرية، الإسكندرية:١٩٧٣، ص ٦١١.

(68) Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, С.183–184.

(69) AD.1- 458, From his Excellency J.H. Mandeville to Vice Admiral Sir Henry Hotlam, 22 Feb, 1833, Therapia.

(70) Экспедиция Черноморского флота на Босфор в 1833 г,Опубликовано в: Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, www. http://militera.lib.ru/ (5 May 2017).

(71) Базили, К.М., op.cit., С.131.

(72) Муравьев, Русские на Босфоре, С. 249.

(73) Ibid, C.279.

(74) Ibid, CC. 156-157.

(75) Ibid, C.329-330. .

(76) Hurewitz, J.C., Diplomacy in the Near and Middle East. A Documentary Record 1535-1956, Vol.1, (1535-1914), Oxford: Archive Editions, 1987, p.107.

(77) Ibid, pp. 105-106.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية

١- الوثائق غير المنشورة:

وثائق دار الوثائق القومية بالقاهرة وتشمل:

١. الشام: محفظة ٧، ١٣، ١٨.
٢. بحر برا: محفظة ١٢، ١٣.
٣. ديوان خديو: دفتر ٧٧٨.
٤. عابدين: محفظة ١٢، ١٣.
٥. مَحافظ الأبحاث: محفظة ١٤٨، ومحافظ أبحاث الشام محفظة ٤، ٦٥، ٧٢، ١٨٥.
٦. ملخصات دفاتر عابدين: دفتر ٣، ٢١٠.

٢- المصادر العربية:

مصطفى كامل، المسألة الشرقية، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة: مطبعة اللواء، ١٩٠٩.

٣ - المراجع العربية:

١. درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية: ١٩٧٤.
٢. لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، الطبعة الثانية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠.

٣. محمد صبري الدالي، في تاريخ الصدام والحوار بين الشرق والغرب: القوى الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

٤. محمد محمود السروجي، "البحرية المصرية في العصر الحديث"، في كتاب: تاريخ البحرية المصرية، الإسكندرية:١٩٧٣.

٤- الدوريات العربية:

محمد حبيب صالح، "الدبلوماسية الروسية في مصر وبلاد الشام خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر"، مجلة دراسات تاريخية، العددان السابع والستون والثامن والستون، ١٩٩٩.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

١- الوثائق البريطانية:

1. AD. 1-458
2. F.O. 78-203.
3. F.O. 78-212.
4. F.O. 78-344.

٢- المصادر الروسية:

1. Базили, К.М., Сирия и Палестина под турецким правительством, Одесса: Ноябрь 1861.
2. Муравьев (Карский) Н.Н., Путешествие в Туркмению и Хиву в 1819 и 1820 годах, Первой части. Москва.: В типографии Августа Семена,1822.
3. Муравьев (Карский) Н.Н., Турция и Египет в 1832 и 1833 годах, Т. 3, Дипломатические сношения, Москва:1869.
4. Муравьев, Н.Н., Русские на Босфоре, в 1833 году. М.:1869.
5. Муравьев-Карсский Н. Н., Собственные записки: 1811–1816, именной указ: Вальковичаи А. М., Климанова, В. Е., Москва: Кучково поле, 2015.

٣- المراجع الأجنبية:

1. Chesney, R.A., The Russo-Turkish campaigns of 1828 and 1829: With a View of the Present State of Affairs in the East, New York: Redfield, 1854.

2. Hajjar, Joseph N., L'Europe et les destinées du Proche-Orient: Mohammed Ali d'Egypte et ses ambitions syro-ottomanes, 1815-1848, Damas: Éditions Tlass, 1988.

3. Hurewitz, J.C., Diplomacy in the Near and Middle East. A Documentary Record 1535-1956, Vol.1, (1535-1914), (Oxford: Archive Editions, 1987).

4. Lutsky, V., Modern History of the Arab Countries, Moscow, Progress Publishers, 1969.

5. Pirenne, Henri, Histoire de Belgique, VII: De la Révolution de 1830 à la Guerre de 1914, Bruxelles: Maurice Lamertin Éditeur, 1932.

6. Puryear, Vernon John, England, Russian and Straits Question 1844-1856, California: University of California Press, 1931.

7. Riehn, Richard K., 1812: Napoleon's Russian Campaign. New York: John Wiley and Sons, 2001.

٤- المراجع الروسية:

1. Волков, С. В, Генералитет Российской империи, Т. 2, Москва.: 2009.

2. Потемкина, В. П., История дипломатии, Т. I, Москва :1941.

٥- الدوريات الروسية:

1. Европеус И. И., "Николай Николаевич Муравьев", Русская старина, Т. 11, № 9, 1874.

2. Остен-Сакен Д. Е., Николай Николаевич Муравьев в 1828—1856 гг, Русская старина, Т. 11, № 11, 1874.

3. Всеподданнейший рапорт графа Паскевича от 19 мая 1831 года. Акты Кавказской Археографической Комиссии. Т. VII, 1878.

٦- مواقع شبكة المعلومات الدولية:

1. Гирченко, Юрий Викторович., "Участие русских войск в Турецко-Египетской войне 1832-33гг", Издатель в: artofwar.ru/g/girchenko, (5 May 2017).

2. Дюгамель Осипович Александр, www.rusdiplomats.narod.ru, (5 May 2017).

3. Экспедиция Черноморского флота на Босфор в 1833 г, Опубликовано в: Боевая летопись русского флота: Хроника важнейших событий военной истории русского флота с IX в. по 1917 г, www. http://militera.lib.ru/ (5 May 2017).